مآخذ المستشرقين على المعجم العربي
و الدّرس الدّلالي القرآني

م . د . نبراس حسين مهاوش
جامعة بغداد / كلية الإعلام

Orientalists opinions on the Arabic lexicon and the Quranic semantic lesson

Asst.Dr. Nibras Hussein Mahawish
University of Baghdad / College of Mass Communication
Email: nibras.h@comc.uabaghdad.edu.iq

ملخص البحث

العرب هم أصلاء في تأليف المعجم العربي، غرضهم الأول والأساس هو: فهم مفردات القرآن الكريم، والمفردات العربية الأخرى سواء أكانت منفردة أم داخل السياق؛ لبيان استعمالها الحقيقي من المجازي، ولبيان التطور الذي يحدث في بعض المفردات بحيث يغير المعنى تغيرا جزئيا، من هذا المنطلق اتجه المستشرقون لدراسة المعجم العربي والدرس الدّلالي القرآني، فوضعوا كثيراً من المآخذ على الدراسة في رأي قد تكون هذه المآخذ نوعا من أنواع التشكيك في أصالة التراث العربي، وقد تكون لرفع مكانة اللغة الأجنبية.

كلمات المفتاحية : المعجم ، المآخذ ، الدرس الدلالي القرآني .

Abstract

Arabs are original in composing the Arabic dictionary their first and basic purpose is: to understand the vocabulary of the Noble Qura'n and other Arab vocabulary whether it is alone or within the context. To show its real metaphorical use and to show the development that takes place in some vocabulary in a way that partially changes the meaning. From this point of view orientalists tended to study the Arabic dictionary and the Arabic semantic lesson so they put many shortcomings on the study in my opinion. These shortcomings may be a kind of questioning the authenticity of heritage Arabic and may be to raise the status of the foreign language.

Keywords: the lexicon, the deductions, the Quranic semantic lesson .

مقدِّمة البحث:

الحمد لله خالق الأكوان ، وبارئ الإنسان ، عظيم الشأن والإحسان ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين محمد ﷺ وعلى من سار على هديه بإحسان إلى يوم الدين .

أهتم العلماء من الباحثين الأوربين اهتماما كبيراً بالفكر العربي، فبعضهم تعلّم العربية ودرس علومها اللغوية، وبعضهم اعتمد على ما تُرجم من آثار عربية ودرسها بلغته الأم، وهذا الاهتمام اطلق عليه (استشراق)، فتأثر المستشرقون ببعض علماء العربية القدماء، وأخذواعنهم فصار الاستشراق مبدءاً للتأثر والتأثير ، حتى خلّف في البلدان العربية فكرا جديدا آخر اطلق عليه فيما بعد (استغراب).

يتكون البحث من مقدِّمة، ومبحثين عنوان المبحث الأول المستشرقون والمعجم العربي، أما المبحث الثاني فعنوانه: الدرس الدّلالي القرآني عند المستشرقين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول

المستشرقون والمعجم العربي:

العرب هم أصلاء في التأليف المعجمي، و هدفهم الأول من نشأة المعجم العربي هو: فهم نص القرآن الكريم، ولاسيما إن منهج ابن عباس الذي ابتكره غير مسبوقٍ إليه، وهو الاحتجاج بالشعر في تفسير مفردات القرآن الكريم، وتوضيحها وشرحها [1]، وإنّ الأغراض الأولى للتأليف في المعجم العربي ترجع إلى حاجة تعليمية- تبشيرية، تتمثل بالرغبة في معرفة مفردات عربية[2].

(١) ينظر: غريب القرآن في شعر العرب: ١١-١٢.
(٢) ينظر: تاريخ حركة الاستشراق: ٢١.

و اهتم المستشرقون بالمعجم العربي كثيرا، والسبب في ذلك :

١. إن المعجم العربي يساعد الباحثين في معرفة أصول الكلمات ذات الأصول السامية[١]، ودليل ذلك قول نولدكه: «وسيظل المعجم العربي دائمًا الوسيلة المساعدة؛ لإلقاء الضوء على التعابير الغامضة، في اللغات السامية الأخرى»[٢]، وهذا السبب ينطلق: «من رؤية العربية أقدم اللغات السامية، وأكثرهن محافظة على الخصائص السامية الأولى، بل في المعجم العربي من الأصول اللغوية ما يزيد على معجم اللغات السريانية، والحبشية، والأكدية مجتمعة»[٣].

٢. ذكر كثيرٌ من المستشرقين إن المعجم العربي يمتاز بالثراء اللغوي، ووفرة المعجميّة، على الرغم من بساطة الحياة العربية في ذلك الوقت[٤]، ودليل ذلك قول نولدكه: «وإنه لا بُدّ أن يزداد تعجّب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً[٥]».

وإنّ تطور التأليف المعجمي عند المستشرقين الألمان منقسماً على قسمين:

الأول: نظري، أي: التأليف في المعجمية العربية : نشأتها، ومدارسها، وتاريخها، وأصالتها[٦].

والآخر: تطبيقي، أي: تأليف معجمات عربية على وفق عدة مناهج لغوية. ولعلّ جديدَ التأليف المعجمي في العربية عند المستشرقين الألمان، يتضمن ما يأتي[٧]:

فهرسة النصوص معجمياً، مثل: (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لفلوجل.

التأصيل المقارن للألفاظ المعربة، مثل: (الألفاظ الآرآمية في القرآن) لفرينكل.

(١) ينظر: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٠.
(٢) اللغات السامية:٨١.
(٣) المعجمية العربية : ٤٧٥ .
(٤) ينظر: البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٠ .
(٥) اللغات السامية:٨٠ـ ٨١ .
(٦) ينظر: تاريخ التراث العربي : م:٨، ١١ ـ ١٢ .
(٧) ينظر: اتجاهات المستشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث:٢: ٧٠١،٧١٩.

فكرة المعجم التأريخي، مثل: (المعجم اللغوي التاريخي)، لأوغست فيشر.

المعجم الوصفي لمرحلة معينة، مثل: (معجم العربية المعاصرة)، لهانز فير.

المعجم الإحصائي ذو الحقل الدلالي الواحد، مثل: (معجم الألوان في الشعر العربي) ل: ف. فيشر.

تأليف معجمات اللهجات العربية الحديثة (العامية).

المفردات الأعجمية في معجمات العربية:

إن علم المعجم نشأ نتيجة للإهتمام بمعاني المفردات القرآنية، وفهم أسرارها التركيبة، و إن العرب وهم اصحاب الفصاحة والبيان ليس لديهم مشكلة في معرفة هذه المفردات المستعملة في التراكيب استعمال حقيقي أو استعمال مجازي، والدليل على ذلك: "لم تكن هناك مشكلة عند المفسرين الأوائل من أمثال مجاهد (توفي ١٠٤ هجريا) في ردّ الكلمات المستعارة في القرآن الكريم إلى أصلها الأجنبي فنجد مجاهد على سبيل المثال يقول ان كلمة "الطور" بمعنى الجبل من أصل سرياني، وان كلمة" قسطاس"من أصل يوناني، وفي حقيقة الأمر أصاب مجاهد بعض الشيء في تخميناته، فكلمة طور فعلا من أصل سرياني هوThuur وكلمة قسطاس قد تكون من اصل يوناني بعيد هوdikastes بمعنى: القاضي، وقد تكون مرت عن طريق الكلمة السريانية dllqasthuus قد تكون بعض أصول الكلمات التي أوردها المفسرون وهمية، ولكن الشيء المهم لنا هو انهم كانوا ينظرون للإثراء اللغة بكلمة أجنبية كميزة وعلامة من علامات الرفعة وأمارات العبقرية المتجسدة في القرآن الكريم، ولكن بنهاية القرن الثاني الهجري بدأ بعض أهل اللغة ينتقدون فكرة أن يكون القرآن حاويا لكلمات أجنبية، وحاولوا ان يردوا كلمات القرآن لأصل البدوي ما"[١].

ويرى كيس فرستيغ أن العلماء المسلمين يرفضون حتى الآن كل المحاولات الغربية التي يقوم بها المستشرقون للبحث عن اصول أجنبية في لغة القرآن الكريم[٢].

(١) اللغة العربية تاريخها ومستوياتها: ٨٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٤ .

نحن لا ننكر وجود الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، مثل: السندس، والإستبرق نحو قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾[1]، وأسماء الأنبياء، مثل: يونس، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[2]، ويوسف في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[3]، وإدريس في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾[4]، ويعقوب، وإبراهيم، وإسحاق ... في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[5]، وقد أفرد السيوطي لها كتابا أسماه: المعرب. لكنّ المستشرقين لهم هدف خاص، وهو رفع مكانة اللغة الأجنبية في القرآن الكريم الشيء لا يتقبله العرب؛ لأن لغة القرآن لغة مقدسة لها مكانتها العالية، فمن غير المعقول أن تكون للكلمات الأجنبية الميزة الكبرى في رفع مكانة هذه اللغة.

وإن ترجمة الكلمات من لغة إلى لغة أخرى تكشف لنا مشكلة من مشكلات المعنى بصورة واضحة، وهذا ما يدركه المترجم في أثناء ترجمته للنصوص[6] .

ويكفينا مثلا واحدا للإجابة عن ذلك.

«كنا ننظر في تفسير محمد مرمدوك بكثال للقرآن الكريم ورأيناه ذهب مذهبا خاصا في نقل كلمة «الله» عزّ وجلّ إلى الإنجليزية: لفظ الجلالة يترجم عادة بـ God ولكن "بكثال" لاحظ أن كلمة God لا تثير في ذهن القارئ الإنجليزي ما تثيره كلمة "الله" في ذهن القارئ العربي: فكلمة God في الإنجليزية تؤنث بـ Goddess، وتجمع على Gods، بينما الله،

(١) سورة الكهف: الآية:٣١.
(٢) سورة الصافات: الآية:١٣٩.
(٣) سورة يوسف: الآية:٥٨.
(٤) سورة مريم: الآية:٥٦.
(٥) سورة يوسف: الآية:٦.
(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .

وهو واحد لا شريك له، كلمة ليس لها مثنى ولا جمع، ولا مؤنث، إن التصور الذي تشير إليه كلمة "الله"، سبحانه وتعالى، تصور يقضي على الشرك، بينما كلمة God لا تقضي على هذا التصور، ولم يجد بكثال في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة الله في العربية، فاحتفظ بكلمة "الله" في الإنجليزية كما هي، يترجم "بسم الله الرحمن الرحيم" بقوله:

"ln The name af Allah the Beneficient the Merciful"[١].

مآخذ المستشرقين على المعجم العربي:

ذكر دوزي مآخذ على اللغة العربية عن طريق حديثه عن معجمه تكملة المعاجم أنّ اللغة العربية تحوي كثيرًا من المفردات أعجمية الأصل ولا تشير إلى ذلك إلا قليلا: «قد أشرت إلى أصول الكلمات الأعجمية إذا ما تيسرت لي معرفتها، فدراسة أصول الكلمات دراسة مستقلة لم أستطع أن أعنى بها العناية التي أرغب فيها. والذي يخفف عني الأسى في ذلك أنني وجدت معاجم اللغة الفصحى التي تحوي كثيرا من الكلمات الأعجمية الأصل لا تشير إلا إلى أصول قليل منها[٢]».

نرد عليه بكلام الدّكتور محمود سعران: «ان الكلمة في اللغة لها معنى آخر غيرالمعنى المعجمي العام، وغير المعنى الذي قد يفهم من السياق الجملة، ولها إيحاءات وارتباطات نتيجة الحياة المشتركة التي أحييها أصحاب اللغة، فعندما ننقل من لغة إلى أخرى فكيف نوفق في اصطياد كلمات تعطي إيحاءات الحياة الأخرى وارتباطاتها؟»[٣].

ذكر أ. فيشر بعض المآخذ على مدارس التأليف المعجمي العربي، منها:

التفاوت الكبير في ترتيب الحروف الهجائية ودليل ذلك قوله : " إلى تقديرات علمية خاصة بكل مصنّف، وليس لهذا التفاوت اعتبار عام"[٤].

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .
(٢) تكملة المعاجم: ١/ ٢٧ .
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٢٠ .
(٤) المعجم اللغوي التاريخي: المقدمة:١.

إن اللغة العربية تفتقر إلى الترتيب الدقيق في ترتيب الكلمات ومعانيها داخل المعجم العربي، ودليل ذلك ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي للمفردات في كتابه العين بحسب اصول علم الأصوات، أي بحسب مخارج الحروف العربية فيبدأ بالحروف الحلقية وانتهى بالحروف الشفوية، ترتيبه عجيب ويستحق الإعجاب، لكنه من الناحيّة العلميّة مخفقا؛ لأنه يعرقل عمليّة البحث عن المفردات.

إن الكلمات ومعانيها ينقصها وضع قاعدة ثابتة للترتيب، فكبار المصنفين للمعجمات وأحسنهم كانوا يجمعون من دون تمييز يضطر الباحث في أغلب المعجمات الغنيّة بالصيغ والإشتقاقات، مثل: لسان العرب لإبن منظور، أو معجم تاج العروس للزبيدي إلى البحث الشاق ليجد المعنى الموثوق[1] .

نرد ذلك بقول الباحث عبد الحسين عباس حسن: " لكل مدرسة معجمية عربية داعٍ وربما أكثر في ترتيب ترتيب ورود كلماتها، فمنها ما هو مُرتّبٌ بحسب مخارج الأصوات، وتشمل معاجم مدرسة(العين)، التي ترمي إلى إحصاء اللغة، ومنها ما هو مُرتّب بحسب الحرفين الأخير فالأول: (الباب والفصل)، وتشمل معاجم مدرسة (الصحاح)، التي تضع نصب عينيها سهولة حصول المتأدبين على القوافي والأسجاع.

أما مدرسة (أساس البلاغة)، فقد رتّبت الكلمات بحسب الحرف الأول.

فالثاني فالثالث؛ لمراعاتها أمورا بلاغية، ومما يجب ألا يغيب عن الذهن أن التأليف المعجمي عند العرب في مدارسه المختلفة يقترن بالمراحل التي مرّ بها الترتيب في المعاجم العربية، وبذلك يؤدي اختلاف مدارس التأليف المعجمي دورا مهماً في فهم نشأة المعجمية العربية وتطورها وأصالتها. فعلى سبيل المثال لّما كان الدافع هو إحصاء مفردات العربية فقد ظهر الترتيب الصوتي، وحين روعي تزويد المتأدبين بالقوافي أُبتكر نظام الباب والفصل ، وهكذا»[2].

(١) ينظر : المعجم اللغوي التاريخي: ١٩ـ ٢٠..
(٢) البحث اللغوي في دراسات المستشرقين:٥٢.

إنّ النقص المهم في المعجمات التي صنّفها العرب يرجع إلى أن مصنفيها ما كانوا يجمعون كل مفردات اللغة العربية، بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط ، ومنتهى الكمال أن يكون معجما تأريخيا، والمعجم التاريخي، هو الذي يعنى بملاحقة تطوّر المفردة اللغوية، واستعمالاتها عَبْرَ حياتها.

المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وضع معجمات تأريخية، فهي لا تعالج الناحية التأريخية لمفردات اللغوي فحسب، بل تقتصر على إيضاح الإتجاه الأنموذجي[1].

ومن مآخذ برجشتراسر على التأليف المعجمي، قوله: « التأليف بين الكلمات من جهة معانيها ومن هذا ما سماه القدماء: « فقه اللغة »، والإعتناء الكثير به مما نعجب منهم لأجله غير أنهم لم يوفوه كل الاستيفاء، فإنهم وإن كانوا قد جمعوا مثلاً كل الكلمات التي ترجع إلى الخيل، وبيّنوا معانيها، وفرّقوا بينها، فقد اعتمدوا في ذلك على الكلمات أولاً، ثمّ شرحوا معانيها، وكان ينبغي أن يسلكوا ضد هذه الطريقة في كثير من الحالات. فيبدأوا بالأشياء، ثم يتساءلوا كيف تُسمّى؟ فإذا أردنا أن نفهم معاني كل الكلمات المتعلقة بالبئر، والفروق بينها، لزمنا أن نتعرف ما هو البئر؟ وما أنواعه؟ ومن أي الكلمات المتعلقة بالبئر، والفروق بينها، لزمنا أن نتعرف ما هو البئر؟ وما أنواعه؟ ومن أي الأشياء يتكون؟ إلى آخر ذلك، فإن الشيء أقدم من اسمه في كثير من الحالات»[2].

نفهم من قول المستشرق برجشتراسر ان العرب لم يمتازوا بالدقة في شرح المفردات داخل المعجم العربي فكيف يكون ذلك ؟ وهم اصحاب الفصاحة والبيان، وإن كل كلمة من كلمات المعجم العربي تمتزج بأطباعهم وسجاياهم .

المبحث الثاني

الدرس الدّلالي عند المستشرقين:

اجتهد المستشرقون في الدراسة الصرفية والدراسة النحويّة أكثر من الدراسة الدلاليّة،

(١) ينظر: اللغوي التاريخي: ٧.
(٢) التطور اللغوي النحوي: ٢٠٦ .

ويعود ذلك إلى سببين :

الأول : كثرة المفردات مقارنة بباب النحو، فعدد الكلمات أكثر بكثير من أشكال البناء والتراكيب المعروفة.

الثاني: تنوع المفردات اللغوية وكثرتها، مقارنة بالأبواب النحويّة والصرفيّة[١].

ويعلل نولدكه وفرة المفردات في اللغة العربية؛ بسبب عملية جمع كلمات العربية فهي لم تعالج معالجة نقدية، مما أدّى إلى وفرتها ؛ فصار علماء العربية ورواتها يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاص [٢].

ذكر الدكتور ايزوتسو: (أن علم الدّلالة كما افهمه دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما تتطلع للوصول في النهاية إلى ادراك مفهومي (لرؤية العالم) الخاصة بالناس الذين يستعملون تلك اللغة...) [٣].

وذكر أ. فيشر: «إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب لغته، وبشعوره المبكر، بحاجة إلى تنسيق مفرداتها، بحسب اصولها وقواعدها، غير العرب، وقد يرجع النهوض بالدّراسات العربية نهوضا مبكرا مِلؤه النشاط إلى حاجة التفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات، وبينه وبين اللغات الفارسيّة، فلا عمَل للعرب من نزعة إلى التفقه باللغة، تلك النزعة التي تجلت مبكرا في تفسير القرآن والدّراسات اللغوية» [٤].

التطور الدلالي:

ويرى فرستغ أن المشكلة الحقيقية في تطور كلمات القرآن الكريم التي تطور المعنى تقنيا ليس له علاقة بدلالة الجذر الذي اشتقت منه هذه المفردات، كما يرى ذلك المفسرون حيث يجتهدون في اصطناع علاقة بين الجذر و الكلمةِ القرآنية، مثال ذلك كلمة «القيامة»

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٣.
(٢) ينظر: اللغات السامية ٨٠-٨١.
(٣) الله والإنسان: ٣٢.
(٤) معجم اللغوي التاريخي:٤.

كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[2] يرى أصحاب التفاسير أنها مشتقة من الجذر: (ق، ي ، م) لكن هذه الكلمة ممكن أن تكون سريانية الأصل، وكذلك الحال في كلمة (صُحف) كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[3] ، وفي قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [4] تعود إلى الجذر: (ص، ح، ف) عند المفسرين الأوائل، وإن هذه الكلمة لا تظهر إلاّ في صيغةِ المضعف ويراد بها: الخطأ في القراءة، وظهرت هذه الكلمة بصيغة المؤنث المفرد في شعر العرب في العصر الجاهلي بمعنى: (صفحة مكتوبة)، ويرى من الصعب ارجاع هذه الكلمة إلى الجذر في القرآن الكريم وهذا مادفع علماء الغرب من الباحثين إلى ارجاع هذه الكلمة إلى كلمة عربية جنوبية وهي: (shi) أو لجذر أثيوبي يعني:(الكتابة)[5].

نرد عليه برأي الدكتور علي عبد الواحد وافي: «تطور يلحق معنى الكلمة نفسه، كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلّا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص؛ فتطلق على معنًى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديمة فتطلق على معنًى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازًا فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول»[6] .

إن أهم مظاهر التطور الدلالي التي تصيب الألفاظ ثلاثة، هي: تخصيص دلالة الكلمة، أو تعميم دلالتها، أو تغيير مجال استعمالها: قال اللغوي (ج. فندريس): «ترجع أحياناً التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع : التضييق

(١) سورة البقرة: الآية:٨٥.
(٢) سورة آل عمران:١٩٤.
(٣) سورة النجم: الآية:٣٦.
(٤) سورة الأعلى: الآية: ١٩.
(٥) ينظر: اللغة العربية تاريخها ومستوياتها: ٨٤.
(٦) علم اللغة: ٣١٤

والاتساع والانتقال، فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص.. وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام.. وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص» [١].

هناك أسباب عدّة تؤدي إلى التطور الدّلالي ، منها[٢]:

١ـ ظهور الحاجة: يظهر ذلك عندما يود أبناء المجتمع اللغوي التعبير عن فكرة ما أو شيئا معينا ، فإنهم يمثلون في المفردات بمجموعة من الأصوات.

٢ـ الإنحراف اللغوي: يحدث عندما ينحرف الفرد من الإستعمال الحقيقي إلى الإستعمال المجازي المشابه له نتيجة سوء الفهم، أو الإلتباس، أو الغموض .

٣ـ الإنتقال المجازي: الهدف منه سدّ فجوة معجمية، ويتم عادة من دون قصد.

والدكتور علي عبد الواحد وافي يؤكد ذلك عن طريق قوله: «كثرة استخدام الكلمة في معنًى مجازيّ تؤدي غالبًا إلى انقراض معناه الحقيقيّ وحلول هذا المعنى المجازي محله؛ فمن ذلك مثلًا في اللغة العربية كلمات: المجد والأفن والوغى والغفران والعقيقة.. وهلم جرا؛ فالمجد معناها في الأصل: امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم كثر استخدامه مجازًا في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلي وأصبح حقيقة في هذا المعنى المجازي» [٣].

مآخذ المستشرقين على الدرس الدّلالي :

ذكر برجشتراسر استعمال الكلمات والمفردات في اللهجات العربية القديمة فيصفها بأنها تخالفت تخالفا شديدا، ولم يبقَ لها أثر اللغة المستعملة الفصحى ودليل ذلك قوله: «وإن كانت اللهجات القديمة تتخالف في بعض أبنية الاسماء والأفعال وتركيبات الجملة، فإن ذلك نادر قليل ولم يكد يبقى من أثرفي اللغة الفصحى، المستعملة في القرون الأولى بعد الهجرة، وعلى العكس من ذلك، فيظهر أن اللهجات القديمة تخالفت تخالفا واسعا وشديدا،

(١) اللغة: ٢٥٦.
(٢) ينظر : علم الدّلالة أحمد مختار عمر: ٢٤١ـ٢٤٢.
(٣) علم اللغة: ٣٢١.

في بعض الكلمات والعبارات، وبقي ذلك أكثر ذلك مستعملا عند كثير من أصحاب الشعر والنثر المتأخرين»[١].

وذكر أنّ أصحاب اللهجات العربية اضطروا إلى اختراع كثير من المفردات؛ وذلك لتسمية معاني وأشياء جديدة بأسماء جديدة لم تستعملها وتفهمها العرب قبل عصر الفتوحات الإسلامية، وهذ واضح عند تصفح الجرائد فنجد الكثير من الكلمات الجديدة، أو معاني جديدة لكلمات قديمة الإستعمال على الرغم من أن الأبنية والتراكيب لم تتغير عما كانت مألوفا في الزمن الماضي إلا قليلا[٢].

نستطيع الرد عليه بقول د. محمود سعران : «يحدث «التطور الدلالي» تدريجيا في أغلب الأحوال ، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى، وإن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الإجتماعي، وإن هذه الميول الإجتماعية، أوضح في حالة « التغير الدلالي »منها في حالة « التغير الصوتي» [٣].

و ذكر مآخذَ آخر وهو: ليس هناك معجم أو قاموس يقضي الحاجة في عرض المفردات، بل يقرب من أن يقضي الكثير منها ، على الرغم من وجود الكتب القديمة، مثل: لسان العرب وغيره[٤]، فهي: «لا تأتي بالشواهد إلا للنادر والغريب، وتهمل الآثار المنثورة وكلام المتأخرين»[٥].

ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي مآخذ على اعضاء المدرسة الفرنسية ،منها: «ليس بصحيح ما ذهب إليه أعضاء المدرسة الإنجليزية وبعض الباحثين من الفرنسيين؛ كالعلامة بريال Breal؛ إذ يرون أن التطور الدلالي يسير باللغة نحو التهذيب والكمال ويسد ما بها من نقص ويخلصها مما لا تدعو إليه الحاجة وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق

(١) التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٣ـ٢٠٤.
(٢) ينظر: التطور النحوي للغة العربية : ٢٠٤.
(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:٢٨٠، وينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة: ٢٨٤.
(٤) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٢٠٤ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٤ .

إلّا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح أما وقد ثبت أن التطور الذي نحن بصدده تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالسبل التي تقول بها هذه النظرية"[1].

السياق الدلالي:

ذكر ستيفن أولمان: "إن قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصة من الخواص الأساس للكلام الانساني. وإن نظرة واحدة في رأي معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة .

وقد تعيش المدلولات القديمة جنبا إلى جنب مع المدلولات الجديدة، وهي ظاهرة ينفرد بها المعنى، ولا يشاركه فيها الأصوات، أو القواعد النحوية والصرفية" [2].

فالسياق هو الذي يحدد إن كانت الكلمة مستعملة الاستعمال الحقيقي، أو المجازي، ويحدد إن كانت الكلمة من الألفاظ المشتركة، أو الألفاظ المترادفة ويحدد زمان اللفظة ومكانها فلكل زمان دلالات ألفاظ مختلفة.

ولكلّ مكان دلالات ألفاظ فاستعمالها عن طريق السياق يبين لنا عصرها ومكانها. وكذلك يحدد لنا صيغة الكلمة فالكلمة المجردة يمكن أن تكون بصيغة المفرد، أو الجمع لكن السياق هو الذي يعطيها الدلالة النهائية.

مآخذ المستشرقين على السياق:

ذكر ف بالمر أنّ مجموعة من اللسانيين استبعدوا السياق من الدّراسة الدّلالية؛ وذلك بسبب عدة مصاعب بالغة التعقيد في معالجة السياق، منها أسباب: عملية ونظرية وأسباب أخرى منها :

١ـ ذهبت طائفة من اللسانيين إلى أن معنى الجملة ما يمكن التعرف عليه بمعزل عن

(١) علم اللغة علي عبد الواحد: ٣١٨.
(٢) دور الكلمة في اللغة: ١١٥.

السياق، وكذلك التعرّف على الغموض والشذوذ فيه[١]، ويرد ف بالمر هذه الطائفة بقوله: «بأي مفهوم يمكن القول اننا نعرف معنى الجملة بصورة مستقلة عن السياق؟ ربما لأننا سنستطيع أن نهيء جملة أخرى بمعنى مشابه أو تفسيرا لها .لكن ذلك لا يعني على الإطلاق اننا إذ حددنا جملتين وقلنا إن لهما معنى واحد فإننا سنكون قد حددنا كيانا مجردا اسمه المعنى، وهذه صيغة أخرة من الوهم الإزدواجي...،وبدلا من ذلك فقد يقال: إن معرفتنا لتشابه جملتين في معنييهما تتضمن معرفتنا للإمكانية استعمالهما في سياقات متشابهة»[٢] .

٢ـ ذهب بلومفيلد إلى أن علم الدّلالة إذ عُرِف عن طريق السياق، سيكون الحقل الدّلالي لا متناهيا، فهو يائس من أي معالجة مرضيّة لعلم الدّلالة[٣].

دراسة المعنى:

قال الدكتور حاتم الضامن : إنّ موضوع علم الدلالة الأساس هو: دراسة المعنى ، ولا ينكر أحد قيمة المعنى بالنسبة إلى اللغة ، حتى قال بعضهم : انه بغير المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة[٤].

ومن المشتشرقين بلومفيلد (١٩٣٣) ذكر: أن دراسة المعنى هي نقطة الضعف في النظريّة اللسانيّة، وأصر على أن تكون نقطة البدايّة في أية مناقشة لغوية، السمات الشكلية Formal Feature و ليس المعنى"[٥]. نفهم من هذه المقولة إنه يستبعد المعنى من النحو لصالح القواعد الشكليّة، فالمعنى في كثير من الأحيان يكون غامضا ، لانستطيع الوصول اليه بسهولة[٦].

أكد العالم الشهير أحد اساتذة جامعة هارفارد (سكيز) على ضرورة اهمال دراسة

(١) ينظر: علم الدلالة ف بالمر:٥٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٥٧ ـ ٥٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.
(٤) علم اللغة د. حاتم صالح الضامن: ٧٢.
(٥) علم الدلالة ف بالمر:١٣٥.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٥ .

المعنى ؛ وذلك لأنه ليس مظهرا خارجيا في العلوم الطبيعية[1] ...

ونستطيع الرد عليه بتقسيم المعنى عند علماء اللغة على ضربين :

الأول: معنى لغوي معجمي، وهو الأصل يمثل جذر الكلمة وما دتها.

الثاني: معنى مستعمل اصطلاحي، وهو يمثل الدوائر الدّلالية التي تحيط بالمعنى المعجمي للكلمة، وتزداد هذه الدوائر الدلالية بالإستعمال المعنى اللغوي[2].

الخاتمة :

إنّ المستشرقين عند دراستهم التراث العربي من جوانبه المختلفة، بذلوا جهودا سواء اكانت هذه للخير أم لغيره ، فالعربية علم لا يحيط به أحد، عربياً كان أم غير عربي؛ لذلك من البدهي ان تجتاح علمه سقطات تحسب بالضد من طرحه ، والمستشرقون وقعوا بما وقع به غيرهم من الدارسين.

وتوصلت عن طريق مسيرة البحث إلى عدة نتائج أهمها :

إن العرب اصلاء في التأليف المعجمي، وغرضهم الأساس منه فهم النص القرآني ، ومعرفة المفردات العربية من الأعجمية.

شهادة المستشرقين بأن المعجم العربي يمتاز بالثراء اللغوي.

ذكر المستشرقين كثيراً من المآخذ منها: التفاوت الكبير داخل بعض المعجمات العربية من ناحيّة ترتيب حروف الهجاء .

أهمية السياق في تحديد دلالة المفردات .

دراسة المعنى الجزء المهم في الدرس اللغوي العربي، فهو موضوع علم الدّلالة الأساس .

التطور الدّلالي داخل المفردات قد ينتهي أحيانا بتغير كبير في المعنى.

(١) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ١١٠ـ١١١ .

(٢) ينظر: مقدّمة اثر البعد الأثيمولوجي على دلالة اللفظ:٣ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،الدكتور نايف خرما،عالم المعرفة، ١٩٧٨.

٣. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي، مراجعة: د. عرفة مصطفى ، وآخرون، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، قم.

٤. تاريخ حركة الاستشراق" الدراسات العربية الاسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين"، المستشرق: يوهان فوك، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم، الطبعة: الثاية، دار المدار الاسلامي، بيروت،٢٠٠٨.

٥. تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم ، بيروت المدار الإسلامي، ط٢ ،٢٠٠١م.

٦. التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصحح عليه: د. رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ ،١٩٩٤م.

٧. تكملة المعاجم العربية، المؤلف: رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م.

٨. دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني الكاتب الخالد الذي توفر على تصحيحه والتعليق عليه الإمام محمد والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ أحمد المراغي، تعليق وشرح : محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، الناشر مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م.

٩. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة وقدم له وعلق عليه د. كمال محمد بشر ، دار الطباعة القومية ، ١٩٦٢.

١٠. سؤالات نافع ابن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ، ١٩٦٨ م ، بغداد مطبعة المعارف.

١١. علم الدلالة، أف.آر. بالمر١٩٨١، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥.

١٢. علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط١،المكتبة دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت ،١٩٨٢.

١٣. علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مدكور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار التوفيق النموذجية الأزهر، ١٩٨٧.

١٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، د.ت.

١٥. علم اللغة وصناعة المعجم، د.علي القاسمي، مطبوعات جامعة الرياض،١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م .

١٦. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي – رحمه الله –، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١.

١٧. غريب القرآن في شعر العرب ((مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه))، عن الصحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (المتوفى: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما، د.ط، د.ت.

١٨. اللغات السامية، تيودور نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبد التواب ، القاهرة، مكتبة النهضة العربية ،١٩٦٣.

١٩. اللغة جوزيف فندريس مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٠م.

٢٠. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها ، كيس فرستيغ ، ترجمة: محمد الشرقاوي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ،٢٠٠٣ .

٢١. اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز ،ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٢٢. الله والإنسان في القرآن، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم ، توشيهيكو ايزوتسو، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٣. المعجم اللغوي التاريخي، أ.فيشر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٧م.

٢٤. المعجمية العربية، جون، أ هيوود، ترجمة: د. عناد غزوان، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤.

٥٢. اللغات السامية، تيودور نولدكة، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٦. الرسائل والأطاريح:

٢٧. اثر البعد الأثيمولوجي على دلالة اللفظ، ترجمة : كازيمر سكي لمعاني القرآن الكريم انموذجا،عينة كمال ،اطروحة دكتوراه، جامعة وهران ، اللسانية،٢٠١٢.

٢٨. البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، العربية انموذجا، عبد الحسن عباس حسن الجمل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الكوفة، ٢٠١٠.

٢٩. الأبحاث:

٣٠. اتجاهات المستشرقين في دراسة الحياة اللغوية في العالم العربي الحديث، د. محمود فهمي حجازي، مجلة المجلة السنة ١٠، العدد: ١١٤، حزيران، ١٩٦٦ م.

٣١. الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، د. ميشال جحا، مجلة الاستشراق، بغداد، العدد: الثالث، ١٩٨٩م.